في تعليم اللغة والتاريخ

«الشهيدة المسعفة حياة البلبيسي»

إسلام كبها

بنيت هذه التجربة على نص من منهاج اللغة العربية للصف السابع، وقمت باختيار هذا النص بناء على محادثتي مع مدرس اللغة العربية في المدرسة التي اخترتها لتطبيق التجربة فيها، وذلك لأن المدرس لاحظ أن طلاب الصف قد اهتموا بالموضوع، وأظهروا تأثرهم به، واستمروا فترة يتحدثون عنه.

أهداف أكاديمية

هناك مجموعة من الأهداف الأكاديمية المرتبطة باللغة العربية لهذا الدرس، إلا أنني وبعد قراءة الدرس مرات عدة، تمكنت من تخمين السبب من وراء انشغال الطلاب بهذا الدرس. لربما كان السبب هو سيناريو الدرس الذي يقترب من الأداء التلفزيوني كما يراه الطلاب، أو كان السبب هو الحادث المعنوي لمادة الدرس كقصة أو حكاية قضية عايشها ويعايشها الفلسطيني يومياً من قريب أو بعيد، أو أن أحداث القصة -أي قصة حياة البلبيسي- تتحدث عن قرية فلسطينية هي أصلاً في منطقة قريبة من القدس، أو لأن الأحداث حول معلّمة.

أثر التجربة على الطلاب

وجدت عند بدء التخطيط للدرس قضايا (الصراع، الخوف، المشاعر، التردد . . .) وكلها أمور لامست الطلاب من قريب ومن بعيد، وكلها أسباب جعلت من الضروري العمل على هذا الدرس فكانت البداية.

تطبيق الدرس الدرامي

بعد قراءة القصة، ظهرت مجموعة كبيرة من الانفعالات، وردود الأفعال، والجذب والانتباه المختلف كلياً عما أظهره الطلاب عندما قرأوا الدرس أو القصة لحصة اللغة العربية، وتلك كانت ملاحظة من قبل معلم المادة. وبعد ذلك، تم توزيع القصة بشكل مكتوب على ورقة منفصلة عن الكتاب من أجل العودة إلى النص، وبخاصة وقت العمل ضمن مجموعات مصغرة، وذلك لأسباب عدة، منها:

- الحاجة إلى الرجوع لنص القصة لخدمة الدرس الدرامي.
- حاجة الطلاب لتذكير الأشياء أمامهم، لأن الذاكرة السمعية لن تكفي لتذكر الصور الدرامية لطلاب الصف السابع، فهم بحاجة إلى الرجوع إلى النص لإعادة بناء الصور من جديد.

استكشاف الفراغ

كان يهدف هذا الجزء من الحصة إلى مساعدة الطلاب على تخيل مكان أحداث القصة، وكان هذا جزءاً مفقوداً وما زال مفقوداً في أساليب التعليم عندنا في مناهجنا، حيث أن المعلم العادي يفترض أن المادة التعليمية لا تحتاج إلى التخيل من أجل استدخالها للداخل. فكان هذا التمرين الذي قام به الطلاب من التجوال في غرفة الصف بمصاحبة موسيقى وأغانٍ تراثية فلسطينية، يهدف إلى محاولة تخيل القرية الفلسطينية بشكلٍ عام، وإلى تخيل القرية الفلسطينية دير ياسين التي دارت بها أحداث القصة بشكل خاص، وكان المطلوب من المجموعة هو تخيل يوم عادي في القرية: الناس، الطبيعة، البيوت، شكل الأماكن، الأصوات المسموعة . . . الخ.

دار بعد ذلك حوار حول ما رآه الطلاب وسمعوه وتخيلوه. والدخول إلى التمرين الثالث الذي يتمثل بالعمل الجماعي، وذلك أن نحاول أن ننقل محتويات ما سمعناه ورأيناه إلى خارطة المدينة.

رسم الحيز المكاني

في هذا الجزء، قام الطلاب برسم الأماكن كافة، التي تخيلوها في القرية، بالإضافة إلى إضفاء شكل الحياة على مكونات القرية بناء على الأصوات، والأحداث، والمناسبات في الحياة اليومية للقرية.

في هذا المقطع إشكالية مرتبطة بوعي الطلاب لأمور تراثية فلسطينية، حيث ظهر التباين بين هؤلاء الطلاب الذين لديهم وعي بشكل الحياة القديمة للقرية الفلسطينية، وبين الذين لا يملكون هذا الوعي لشكل تلك الحياة.

حوار

أجرينا حواراً حول المدرسة التي كانت تعمل فيها حياة البلبيسي، وكان من أساسيات هذا المقطع في الدرس محاولة الوصول مع طلاب

الصف السابع إلى طرق تفكير الجيل نفسه في ذاك الزمان ومستوى ووعه وإحساسه بالمسؤولية، وهنا ظهرت مجموعة من المشاكل في فكرة وصورة الارتباط مع الأرض والمجتمع بين الصف السابع، وبين ما رأوا أنه موجود وأن هناك فلسطين القديمة وفلسطين الحديثة.

وفي هذا النشاط، أظهر الطلاب أن هناك خللاً عميقاً في مناهجنا تجاه تلك المواضيع، حيث الطلاب لا يملكون تصورات واضحة عن طبيعة المشهد الفلسطيني المكاني والحياتي للفلسطينيين، ولذلك فقد يفترض بمناهجنا أو مدرستنا تحديداً أن تصاحب الدرس أو تسبقه إما بعرض صور عن تلك القرية دير ياسين وإما عرض فيلم أو حتى زيارة تلك القرية التي لا تبعد عن القدس سوى ربع ساعة بالسيارة.

مشاعر وأفكار

رأى العديد من الطلاب أن (حياة) كان لديها مشاعر إيجابية أكثر من مشاعرها السلبية لأسباب عدة، أهمها أولاً أن عمر حياة ليس متقدما بشكل كبير، وهذا يساعد على عدم معاناتها في القرية كثيراً، وثانياً أن النتيجة التي آلت إليها حياة، وهي العودة إلى القدس، هي بحد ذاتها مشاعر إيجابية.

أظهر العديد من الطلاب أن المهنة التي تعمل بها حياة كمعلمة ودورها كمسعفة كان أهم من ما كان يدور في ذهن حياة قبل الرجوع إلى القدس.

صورة ثابتة

صورة ثابتة لأهالي القرية مع بداية العدوان على القرية.

أظهرت الصورة الثابتة الكثير من الصور التي تحكي مئات الانفعالات والمواقف، وأهم ما ميز الصور الثابتة أنها كانت تحمل غضباً شديداً ترافق مع أوج الأحداث التي تعصف في قطاع غزة، وما يواجهه كل فلسطيني من عدوان.

حملت الصورة الجماعية عشرات المعاني، وتم الطلب من باقي الطلاب الدوران والحركة بين أفراد وعناصر الصورة الثابتة، والحديث عن تلك الصور وما تقوله.

والملاحظ أن الحوارات كانت غاضبة، وبدأت بالابتعاد عن قصة حياة، والتعبير عن مشاعر الطلاب تجاه مجزرة غزة. وكان هناك سؤال كبير كمعلم لحصة دراما: هل أذهب مع مشاعر الطلاب تجاه موضوع غزة أو أعيد الحوار إلى حصة حياة البلبيسي. قمت بعمل توقيف للدرس، وإعطاء استراحة لمدة خمس دقائق، والطلب من المجموعة التركيز في العمل على قصة حياة.

الحركة بين الجثث

كان هذا التمرين يهدف إلى:

- إظهار الصراع.
- إظهار الخوف.
- التردد.
- المشاعر تجاه الوطن والواجب.

لم يظهر الطلاب الخوف الذي توقعته قبل الدرس، أولاً لأن حياة بنظرهم كانت شجاعة ودورها بطولي.
ثانياً، إنهم عبروا عن أن رؤية الشهداء والموت ليس مخيفاً لهم لكثرة ما يرونه على وسائل الإعلام.

نزع غطاء الرأس

- البعد الاجتماعي والأخلاقي للفكرة.
- محاكاة مع الواقع الحالي في ممر الضمير.
- سماع خبر الاستشهاد.

تركز العمل هنا على بناء صورة ثانية للأسرة عند سماع خبر استشهاد ابنتهم، وبخاصة أن الرسول هو الشخص نفسه الذي استشهدت بسببه.

أظهر الطلاب ردات فعل غاضبة ضد الشاب، وفي النهاية طلب الطلاب أن يكون المشهد حوارياً ليتمكنوا من التعبير أكثر عن مشاعرهم بشكل لفظي، ولربما لفت الطلاب انتباهي إلى الحاجة التعبيرية والأدائية لهذا التمرين.

كتابة إبداعية وتعبير

- حملت العبارات واللافتات طابع الفخر والاعتزاز . . . .
- حاكت العبارات الحسرة على الواقع المتكرر لهذا الشعب.
- حملت العبارات مشاعر الغضب والسخط.
- عكست رغبات الطلاب في أن يكونوا نماذج مشابهة لحياة.

إسلام كبها
مدرسة المطران – القدس